فلسطين وجماعات الثمن الباهظ

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لو لم يكن الذين شنوا حملة الرفض للاتفاق المزمع توقيعه بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل هم الذين ظلوا سنين طويلة يهددون إسرائيل بجعلها تدفع الثمن الباهظ، من خامنئي إيران إلى أردوغان تركيا وصولا إلى حماس فالإخوان المسلمين، لكان علينا أن نتوقف عندها، وننظر في مبرراتها ودوافعها وأسبابها، ونفرز حقّها عن باطلها. ولكن، هؤلاء لم يرحموا فلسطين ولم يسمحوا لرحمة الله أن تنزل عليها.

انتظرهم الفلسطينيون، ونحن معهم، سنوات عديدة لتحرير فلسطين و"محو إسرائيل" فلم نحصد سوى الخيبة والندم وخسارة الدم والمال والكرامة. وسيكون علينا أن ننتظرهم سنوات وسنوات أخرى يهتفون بموت إسرائيل، وجعلها تدفع الثمن الباهظ، دون نتيجة. ففي العجلة الندامة، وفي التأني السلامة، والله مع الصابرين.

شيء آخر. لو أن الذين غضبوا وشتموا وتنادوا بمقاطعة الإمارات لو كانوا قد اعترضوا، ولو بكلمة واحدة، من قبلُ، على تطبيع قطر مع إسرائيل، وعلى الاتفاقات العسكرية والأمنية والمخابراتية والتجارية والسياسية التي عقدها السلطان أردوغان مع حكومة نتنياهو، لكان لهم الحق في محاكمة الآخرين.

فلسطين محتلة ولكن من سيحارب لتحريرها إيران أم بشار أم حسن نصرالله أم الحوثي أم الحشد الشعبي أم حماس أم قطر أم الإخوان أم أردوغان حليف نتنياهو وصديقه اللدود

فهؤلاء جميعا أقاموا أمجادهم وحققوا أرباحهم واستمروا في حكم بلادهم ولم ينفعوا فلسطين بشيء أبدا أبدا.

بالمقابل تظل فلسطين، بحكم صلة الدم والعقيدة، لكل عربي حر وأصيل وشريف أمانة في عقله وروحه، ويُحزنه، تحت أي ظرف، أن يرى أحدا يمس شقيقه الفلسطيني بسوء.

وقد استشهد كثيرون، وسجن كثيرون، وشرد كثيرون، من أجل فلسطين ولكي يأخذ الشعب الفلسطيني الشقيق حقه في الحياة الحرة الكريمة، أسوة بباقي شعوب الدنيا الواسعة، وحتى يقيم دولته المستقلة وينتصر.

وقد دفع كل ساكن في أي من الدول العربية، من المحيط إلى الخليج، بشكل أو بآخر، نصيبه من ثمن الحروب التي خاضتها جيوش الأمة وشعوبها من أجل استعادة الحقوق العربية في فلسطين، ووقف الظلم والاستيطان والاستحواذ، وإحلال السلام العادل الشامل الذي يستحقه الجميع.

وليس سرا أن كل رصاصة أطلقتها المقاومة الفلسطينية، على مدى خمسين عاما، كانت من تبرعات الجماهير العربية، وحكوماتها.

ولم تخسر الأمة في حروبها مع الكيان الصهيوني المال وحده، ولا الدم وحده، بل خسرت الكثير الكثير من أمنها واستقرارها، ومن فرص التقدم والبناء والتعمير.

ولعل ابتلاءها بأنظمة حكم دكتاتورية فاسدة فاشلة وظالمة، بذريعة فلسطين، وبشعارات تحريرها من النهر إلى البحر، هي أفدحُ الخسائر التي خرّبت حاضر الأمة، وأفسدت مستقبل أجيالها، لعشرات قادمة من السنين.

ألم تحتل إيران العراق وسوريا ولبنان واليمن وتهدد الخليج وتعبث بأمن الناس وكراماتهم وأرزاقهم، بحرسها الثوري وبفيلق قدسها وميليشياتها، باسم فلسطين؟

ألم يتاجر أردوغان وحلفاؤه ومموله القطريون بفلسطين، وهم المقيمون أفضلَ العلاقات التجارية والأمنية والثقافية مع إسرائيل؟

ألم تكن الأنظمة الدكتاتورية ومنها، نظام حافظ الأسد ووريثه بشار وصدام حسين ومعمر القذافي وعمر البشير وجماعة الإخوان المسلمين، تعتقل وتغتال، وتحيي وتميت، من أجل تحرير فلسطين، وهم كاذبون منافقون؟

بقينا خمسين عاما، في الساحات والإذاعات، نهدد بأن نجعل إسرائيل تدفع الثمن الباهظ مقابل جرائمها بحق الشعب الفلسطيني ومصادرة أرضه، ولكن الذي كان يحدث باستمرار هو ازديادها قوة، إلى حد أن تلك الدويلة الصغيرة قد أصبحت، بعد نصف قرن، القوة الضاربة الأقوى في المنطقة، تتجول طائراتها في سماواتنا العربية والإسلامية بحرية؛ تقصف وتحرق وتفجر وتقتل؛ لا من سامع ولا من مجيب.

أما العالم، وأما الأمم المتحدة، وأما الشرعية الدولية، فشياطينٌ خُرس تقف مع الظالم ضدّ المظلوم، ومع السارق ضدّ من تعرض للسرقة، في زمن "حكم القوي على الضعيف".

وبالعقل، وبهدوء، وليس بالشعارات والهتافات والشتائم، ينبغي الإقرار بأن العالم اليوم معسكران.

الأول هو معسكر أميركا وأوروبا والغرب عموما، وضمنًه دولُ الخليج العربية ومصر والأردن، وضمنه إسرائيل أيضا، شئنا أم أبينا.

والثاني هو معسكر روسيا والصين وإيران، وضمنه الحرس الثوري الإيراني وحزب الله والحوثيون والحشد الشعبي العراقي ومرتزقة أردوغان في تركيا وقطر وحماس والإخوان المسلمون.

الأول، وبالدليل الملموس، هو معسكر الأمن والاستقرار والبناء والتكنولوجيا والصناعة والتجارة الحرة والرخاء والحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

والثاني، وبالدليل الملموس أيضا، هو معسكر التجهيل والإفقار والإمراض والتيتيم والتهجير والتسفير والقمع والردع والقتل والسحل والخطف والاغتيال وقلة أدب المسلحين والماء الآسن والهواء الفاسد والرشوة والتهريب والمتاجرة بالمخدرات والاختلاس وترويج الخرافة.

نعم، فلسطين محتلة، والجولان محتل، ولكن من سيحارب لتحريرهما، إيران أم بشار أم حسن نصرالله أم الحوثي أم الحشد الشعبي العراقي أم حماس أم قطر أم الإخوان المسلمون أم تركيا أردوغان حليف نتنياهو وصديقه اللدود؟

ألا يصح القول إذن إن اعتداءات النظام الإيراني، ومؤامرات النظام التركي وأطماعه، وطقطقات حزب الله، وتهديدات ميليشيات الحشد الشعبي، وصواريخ الحوثي، هي أهم وأقوى الأسباب التي أجبرت حكومات الخليج العربية، شعوبا وحكومات، على البحث عن أي وسيلة متاحة لاتقاء هذا الخطر المحدق بها، والاحتماء بالعدو وبالصديق طلبا للحماية، وعلى مضض؟

فمن يلام، إذن، حين تقفز دولة الإمارات العربية المتحدة فتضع يدها بيد نتنياهو، نكاية بقطر، وخوفا من إيران وتركيا وحزب الله وحماس والإخوان المسلمين؟

سؤال آخر، الآن وقد حققت إسرائيل هذا الاختراق الكبير لجدار النظام العربي، ووصلت إلى مياه الخليج العربي، بعد أن كانت قد خيمت على ضفاف البحر المتوسط والأحمر والميت ونهر الأردن، ألا يصح القول إن الخاسر هو الولي الفقيه، قبل غيره وأكثر من غيره، بسبب أطماعه وأحقاده الطائفية العنصرية، ثم أردوغان بسبب أحلامه في إعادة الحياة إلى عظام الإمبراطورية العثمانية وهي رميم؟

أي رسائل تحملها مشانق القادة في لبنان

بهاء العوام
صحافي سوري

تلك المرارة التي شعر بها رئيس وزراء لبنان حسان دياب وهو يقدم استقالته تكشف عن حجم تعلقه بالمنصب الذي ناله مكرمة وليس كفاءة. لم يكن المنصب له يوما، ولم يرشح له تلبية لرغبة الثائرين ضد الفساد والاستبداد. جاء رغما عن اللبنانيين، وذهب بانتفاضتهم التي بعثت مجددا من تحت رماد مرفأ بيروت.

لم يخفِ دياب مرارة الاستقالة التي أجبر عليها. ولكنه أخفى مرارة الخديعة التي شعر بها عندما تبين وهم وعود العهد الحاكم له بأنه صامد على رأس السلطة حتى يمل الكرسي. وعندما تغيرت المعادلات واختلطت الأوراق وجد نفسه مضطرا للرحيل، ولم يجد من يسانده لا في الشارع ولا في السلطة.

قد يواسي دياب في مصابه أنه علق على المشانق في الساحات العامة مع من خدعه. وقف جنبا إلى جنب مع الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله ورئيس البرلمان نبيه بري ورئيس الدولة ميشال عون. هناك فقط لم يكن أقل منهم، وهناك فقط لم يجبره أحدهم على التنحي والتخلي عن مكانه.

كان دياب مجرد كبش فداء لمعركة خسر فيها العهد الجديد مقابل فريق 14 آذار. هكذا قرأ ساسة لبنان ما حدث في الرابع من أغسطس 2020. لم يلفت أنظارهم أي شيء مما حل بالبشر والحجر. لم يثر حفيظتهم هذا الاستخفاف الدولي بهم. ولم يقلقهم هذا السخط الشعبي ضدهم في الشوارع.

في الحقيقة كانت المشانق معبرة جدا عما يجول في خاطر اللبنانيين، ولا يصغي إليه "ملوك الطوائف" حتى الآن. الرسالة واضحة ومضمونها لا يقبل اللبس، وخاصة بعد تلك النكبة التي ألمت ببيروت. القادة جميعهم يتحملون وزر انفجار مرفأ العاصمة. وجميعهم متورطون بدم من قضوا في الانفجار.

حار اللبنانيون كيف يقنعون قادتهم بأن المشكلة تتمثل بهم جميعا. ليس ببعض منهم وليس بواحد منهم. وإن كان هناك سبيل لحلحلة مشاكل البلاد وانتشالها من نكبتها، فلن يكون ذلك إلا بتنحي كل القادة عن المشهد. "طواطم" البلاد هم من يقودونها إلى الخراب منذ أن حطت الحرب الأهلية أوزارها.

لا يبدو هذا المطلب الشعبي منطقيا بالنسبة لمن يتحكمون بمصير لبنان منذ عقود. لا يتردد بعضهم باعتباره نكرانا للجميل وخيانة للبطولة التي لعبها الزعيم في زمن الحرب الأهلية. وهنا تتحول رسالة المشانق في الساحات إما إلى تمرد، أو مجرد تنفيس عن غضب المفجوعين بأحبائهم في الكارثة.

في الحالتين لن يقف الزعماء طويلا عند رسائل مشانقهم. ولن يكترثوا لرمزيتها مهما طال زمن بقاء مجسماتهم معلقة في الساحات. فهم يبيتون في قصورهم الفارهة وتحت حماية حراسهم. أما الذين يطالبون بمحاكمتهم فيفترشون الأرض ويلتحفون السماء بعد أن جاء انفجار المرفأ على بيوتهم.

ما يزيد من سخرية المشهد أن كل واحد من الزعماء المعلقين على المشانق، يطرح نفسه كمخلص للشعب والدولة. ويدعي أن مسيرته السياسية لم يعكر نقاءها شبهة فساد أو خطأ في اتخاذ قرار أو تسرع في تقييم مشكلة. جميعهم ضحايا لمجهول لا أحد منهم يتجرأ على تسميته صراحة في خطبه.

ولكي تكتمل تراجيدية مسرحية المشانق. يأتيك قادة دول العالم ليتهكموا وينتقدوا زعماء لبنان وحكوماته. ثم يطالبون بالإسراع في تشكيل الحكومة الجديدة من أجل التعاون معها في إيجاد حل لأزمة اللبنانيين. وكأن الحكومة المنتظرة ستأتي بشحنة من الخارج، أو أن الشعب سيختارها بملء إرادته.

يعرف كل الرؤساء الذين تهافتوا إلى لبنان شخصيا أو عبر ممثليهم، أن معركة جديدة قد انفجرت مع اشتعال مرفأ بيروت. هم اليوم يترقبون ويشاركون في صدام قريب داخل البلاد بين معسكرين يريدان استغلال نكبة بيروت لتحقيق مكاسب سياسية. ومصلحة الدولة ليست على أجندة أي منهما.

لا يحمل أي من الطرفين حلولا لأزمات الدولة الصغيرة. ولا يوجد بجعبتهما ما يلبي للبنانيين رغبتهم في تجاوز اتفاق الطائف نحو تأسيس دولة المواطنة. والأسوأ من هذا أن كلا الفريقين يتطلع إلى مستقبل مشوه للبلاد. فإما أن تكون جزءا من ولاية الفقيه، أو مستعمرة لصندوق النقد الدولي.

بين هذين الخيارين المستحيلين يغرق لبنان في المجهول. ومن دون معجزة أو ثورة تحاكم أجسادا بدل الصور، ستتوارث الأجيال أعباء الزعماء. ويخلف الأحفاد الأجداد في قبور الكوارث أو مجالس العزاء بضحاياها. لن تكون بيروت آخر المدن المنكوبة، ولن يكون اشتعال المرفأ آخر الحرائق في البلاد.

الإمارات تحرك الجمود السياسي

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

من تابع تطورات الأحداث حول القضية الفلسطينية خلال الفترة الماضية سيخرج بنتيجتين اثنتين؛ الأولى، أن القضية الفلسطينية وصلت إلى مرحلة من "الانغلاق السياسي" الحاد، لدرجة بدا أنه لم يعد هناك أمل لتحريك أي شيء حول مسألة البحث أو الحديث عن أي حلول لها، بل وصل الأمر حدا انعدمت فيه البدائل المتاحة أمام المجتمع الدولي، ومع الفلسطينيين أنفسهم، وكذلك مع باقي الدول المعنية بالقضية.

النتيجة الثانية، أن الطرف أو الأطراف المستفيدة من حال الجمود اقتصر على الدول ذات المشاريع السياسية الإستراتيجية في الإقليم، وأقصد هنا بشكل واضح نظام أردوغان في تركيا، ونظام الملالي في إيران، ومن ورائهما التنظيمات ذات الميول المتطرفة، وكلها تهدد مصير بعض الدول العربية.

وزاد الأمر سوءا بعد أن وصل الوضع العربي عموما إلى مرحلة العجز التام وعدم القدرة على الحركة في وضع حد لتدخلات النظامين في الشأن العربي ومن سياسة التخريب التي يتبعها من يخدمهما.

مع مرور الوقت، وتكرار مشهد الانقسام والعجز العربي الذي بات السمة الأساسية لهذا المشهد، كانت القضية الفلسطينية ومعها عدد من الدول العربية هي الخاسر الأكبر. حتى انقلب الموقف السياسي العربي وصار عبارة عن أمنيات متقلبة وفق سيناريوهات لو فعلنا كذا لما حدث ما نراه اليوم.

وتكرر الأمر نفسه، بدءا من قرار التقسيم في عام 1947، ومرورا بعام 1967 وكذلك 1973، وصولا إلى اليوم، حيث بدأ أردوغان مشروعه العثماني، ينافس النظام الإيراني على "المتاجرة" السياسية بالقضية، باعتبارها الموضوع الذي يكسب السياسيين التأييد العربي والإسلامي، وينقذ الأنظمة التي فشلت في تحقيق الإنجازات التنموية.

التداعيات السلبية لهذا الوضع لم ينج منها ويتمكن من تحقيق المصالح الاستراتيجية العليا سوى بعض الدول، مثل دولة الإمارات والسعودية اللتين بذلتا جهدا مضاعفا لإيقاف انهيار الوضع العربي

ويقينا أن بقاء مثل هذا الوضع المأسوي من شأنه أن تكون له تداعيات خطيرة على الوضع العربي، من حيث المكانة التي يتربع عليها في الساحة الإقليمية والدولية، لتصبح عاجزة عن مواجهة أنظمة تغرد خارج السرب وتجند نفسها لخدمة التنظيمات الإرهابية بالتمويل والسلاح.

لم ينج من التداعيات السلبية لهذا الوضع، ويتمكن من تحقيق المصالح الاستراتيجية العليا، سوى بعض الدول، مثل دولة الإمارات والسعودية اللتين بذلتا جهدا مضاعفا لإيقاف انهيار الوضع العربي.

وعليه، إذا لم تستطع الدول العربية أن تغير من وضعها اليوم، فإن المؤشر يؤكد أنه لن تحصل على أي شيء في الغد. وكما يدرك أغلبنا، التغيرات الكبرى تحتاج إلى قيادات لديها الشجاعة السياسية والقدرة على تحمل نتيجتها وعادة ما تكون هذه النوعية من القيادات نادرة وتمتلك رؤية بعيدة المدى أما المترددون والقلقون دائما فإنهم يتسببون في خسارة المكاسب الإستراتيجية للأمم.

علينا أن ندرك أن هناك فرقا بين امتلاك القوة، خاصة قوة الصراخ، الذي يمتاز به الكثير من السياسيين في منطقتنا العربية وجوارنا ممن يحملون معتقدات فكرية لتدمير الشعوب، وبين إرادة الشجاعة التي تجعلك تقوم باتخاذ قرارات إستراتيجية في وقت يعتقد فيه الجميع أنه لا مخرج للمشكلة أو الأزمة لأن أصحابها أوصلوها إلى "طريق مسدود"، إلى أن يأتي من يحرك الوضع من أجل التفكير بمخارج من الأزمة وهذا ما فعلته دولة الإمارات الخميس الماضي الموافق لـ13 من أغسطس عندما أعلنت عن توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل.

إن حالة الانفراج السياسي حول القضية الرئيسية لكل العرب لم تكن لتحدث ما لم يكن هناك حراك إستراتيجي مؤثر وفعال ليس فقط لنفض مواقف المستفيدين من الجمود ولكن لصياغة موقف واضح ومحدد لمواجهة الجمود السياسي الداخلي الفلسطيني أولا، ومن ثم وضع حد "للفهلوة" التركية والإيرانية وأذرعها السياسية المنتشرة في العالم العربي.

الإمارات أوصلت رسالة مقنعة للمجتمع الدولي بأن هناك رغبة عربية لإحلال السلام في المنطقة لذا جاءت المواقف من الدول المهتمة بقضية السلام مؤيدة لقرار الإمارات في توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk